Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)

مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj

2018; 14(1): 95-134 https://doi.org/ 10.52981/oiuj.v14i1.1622 ISSN: 5361-1858

أمراء المهدية والثبات على المبدأ

(دراسة وثائقية لمواقف أمراء المهدية 1881م -1898م)

للمؤرخ السوداني/ محمد عبد الرحيم

د. دولت يوسف احمد إبراهيم (•)

مستخلص

تتناول هذه الدراسة سيرا ذاتية لثلاثة من أبطال المهدية إتحدت رؤاهم في الثبات على المبدأ على الرغم من تباين أعراقهم و أعمارهم و ثقافاتهم وهم: الأمير يعقوب بن محمد، شقيق الخليفة عبد الله والقائد العام لجيوش المهدية، والأمير العالم المجاهد الحسن الحاج سعد، والأمير الشاب إبراهيم الخليل قائد فرقة الجهادية الكاره. لقد سجّل هؤلاء الرجال بطولات رائعة على آخر صفحات المهدية.

لقد نجحت المصادر التاريخية غير المحايدة في رسم صورة ذهنية سالبة لمجمل تاريخ المهدية وأبرزت رموزه كطغاة يسيطرون على مجموعة من الدراويش الجهلة الجياع يحترفون السلب والنهب؛ ولما كان الباحث على يقين أن الأمر لم يكن كذلك، فقد هدفت هذه الدراسة لإبراز القيم العظيمة التي حملها رجال المهدية وثبتوا عليها في أحلك الظروف مختارين غير مكرهين.

إستند الباحث في تتبعه لسير هؤلاء الأبطال على مخطوط لشيخ المؤرخين السودانيين الأستاذ محمد عبد الرحيم عبد الرجمن شريف الذاكرة التاريخية الحية للثورة المهدية. توفر البحث على تحقيق المخطوط ومضاهاتها بالمصادر التاريخية الموثوقة. توصل الباحث لنتائج مهمة على رأسها أن للثورة المهدية جذورا فكرية قيمية إسلامية عميقة إعتنقها الثوار وثبتوا عليها وبذلو دماءهم فداء لها.

•) أستاذ مساعد كلية التربية – جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التاريخ

Abstract

The research studies the criteria vital of three Mahdist heroes. They are: Emir Yaqoub, brother of Khalif Abdullah and (servant) the leader of Mahdist troops, Emir Scholar and warrior Al-Hassan Al-Haj Saad and Emir Ibrahim Al-Khaleel. Although those Emirs were different in ages, ethics and cultures, they stood firmly behind the Mahdist principles. Many unneutral historical sources presented the Mahdist leaders as tyrannies controlling ignorant phanatic hungry troops whose aims were stealing, plundering and killing.

This studies aims at making apparent images of the true believers in Mahdist, who were pious, loyal and trustworthy. The research was based on the manuscript produced by prominent Sudanese historian Mohammed Abbdul-Rahim who was an eye- witness of many events of Mahdia history.

The researcher companed the information of the manuscript with reliable historical sources, finally the research pointed out important results emphasizing that the Mahdist men were true believers of their maxim to the extent that they died for it. They were aware of the true meaning of martyrdom.

مقدمة البحث:

جاء اختياري لتحقيق سير ثلاث من امراء المهدية الذين لعبوا دوراً بارزاً وفعالاً في ادارة الدولة وقيادة جيوشها لمواجهة المستعمر ومطاردته من خلال وثائق المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم الذي عاصر فترة المهدية وشارك في حروبها، وبعد زوالها عمل في حكومة الحكم الثنائي فاتاحت له التنقل في مختلف انحاء السودان للعمل كمحاسب فاستطاع بحبه للتاريخ ان يوثق لقادة المهدية واحداثها في ملفات اطلق عليها ابطال السودان موجودة حالياً بدار الوثائق المركزية بالخرطوم تحت مسمى مخطوطات المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم وهي مكتوبة بخط اليد بقلم رصاص احياناً بقلم حبر في ورق فلسكاب وأحياناً في كراسات صغيرة بخط جميل وواضح ولكن بدأ تصفر وتعرضت للتمزق والبعض أعيد صيانته وهي بكل أسف محظورة من قبل أسرة المؤرخ لاسباب كثيرة... ولكني أخذت اذن من الأسرة للاطلاع عليها وتحقيقها لابراز دور المؤرخ في العمل الوطني الكبير الذي قام به لتسجيل لأعمال هؤلاء الابطال والاحداث الخاصة بالسودان في فترة التركية والمهدية والحكم الثنائي وما بعد والاستقلال.

إن تحقيق وثائق المؤرخ محمد عبد الرحيم من غير شك تسهم في إعادة كتابة تاريخ السودان من وجهة نظر سودانية معاصرة ومشاركة في تلك الأحداث ولقد وفقني الله لتحقيق الكثير منها مثل سير هؤلاء الأبطال المذكورين في هذه الورقة وفيها إبراز لأعمالهم سواء في إدارة الدولة وحل مشاكلها او قيادة الجيوش ومطاردة الأعداء وسير هؤلاء الأمراء أظهرت مدى تعليمهم وأعمال البر والإحسان التي قاموا بها والتضحية في سبيل الوطن، ولقد تطابقت المصادر الأجنبية والسودانية مع وثائق المؤرخ محمد عبد الرحيم مما يجعلها صحيحة مائة في المائة قائمة على التجرد والصدق في إيراد الأحداث التاريخية.

نبذة عن حياة محمد عبد الرحيم عبد الرحمن شريف
(كاتب المخطوطة)

نشأته في رحاب المهدية:

"ولد المؤرخ محمد عبد الرحيم في ذي الحجة 1295هـ ديسمبر 1878م بقرية كبر الهبوب في شمال مدينة الأبيض. فنشأ في رحاب المهدية وكان شاهد عيان على انتصاراتها وهزائمها فشد مع والده تحرير مدينة الأبيض وهزيمة الجنرال هكس باشا في نوفمبر 1883م.

رافق والده مع الامام محمد احمد المهدي في طريقه إلى ام درمان فشهد في الطريق المعركة بين انصار المهدي ونوبة جبل الدائر كما رافق والده لنجدة الامير عبد الرحمن النجومي.. انتدب محمد عبد الرحيم ضمن 24 انصاري لنجدة حموده ادريس امير صوارده في ابريل 1896م. شهد واقعة عكاشه في يوم 1 مايو 1896م وشهد واقعة الحفير. شهد موقعة كرري وضرب فيها برصاصتين في فخذه الايمن اخرجت بعملية بعد استقرار الأوضاع في يد المستعمر"[1].

تعليمه وثقافته:

انتقل من ميدان الحرب إلى ميدان الفكر فبذل جهده في التعليم وتنمية ثقافته والتحق في عام 1904م بخدمة الحكومة في وظيفة محاسب ولقد مكنته هذه الوظيفة من الاسفار والتنقل مما ساعده في جمع المعلومات التاريخية وتحقيقها[2].

وصفه البروفيسور/ عون الشريف قاسم بانه كان مولعاً بالتاريخ ويعتبر شيخ المؤرخين السودانيين المعاصرين وكتاباته عن المهدية وحروبها وابطالها دقيقة وكثير من كتبه تسجيل لوقائع شاهدها او سمعها من اصحابها[3].

كتب عنه محجوب باشري ذاكراً انه ممن ساهموا في كتابة تاريخ المهدية ونشر كتابه نفثات اليراع(4). اما البروفيسور/مكي شبيكة فقال عنه "فمؤلفاته بحق موسوعة سودانية لا يتسنى لنا تاليفها حتى من تيم متخصص"[5].

كما ذكر سيرجي سيرنوف (ان المؤرخين السودانيين المعاصرين وعلى رأسهم محمد عبد الرحيم والصادق المهدي وغيره. لقد استطاعوا رسم لوحة أكثر إشراقا للمهدية والتركية ولا يمكن فهم تاريخ السودان المعاصر بمعزل عن ايجابيات وسلبيات المهدية[6].

كما أشاد به محمد إبراهيم أبو سليم في كتابه الحركة الفكرية في المهدية[7]. أما سيد احمد السر العراقي كتب عنه في مجلة التنوير المعرفي تحت عنوان (إسهامات علماء السودان) واصفاً بانه كان مولعاً بالتاريخ ويعتبر شيخ المؤرخين السودانيين[8].

هذه نبذة عن المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم باعتباره شاهد عيان لاواخر فترة الحكم التركي ومشارك في معارك المهدية ومعاصر ونشارك في فترة الحكم الثنائي والاستقلال توفي المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم عبد الرحمن الشريف إلى رحمة مولاه في أواخر عام 1967م.

المبحث الأول

الأمير يعقوب محمد

"تقول فيه المخطوطة هو شقيق خليفة المهدي، ولد في ترده أم روق في سنة 1855م-1271م، حفظ القرآن الشريف على والده وناب عنه في التعليم، فكان رحمه الله من أميز القراء الجيدين لعلم التجويد. وهو أمير الراية الزرقاء منذ أن كان المهدي في جبل قدير سنة 1882م.

بعد أن آلت الخلافة الكبرى لأخيه، أصبح أميراً عاماً لجيوش المهدية، سواء أن كانت بالعاصمة أم درمان أم بالجهات الأخرى. وكانت عبارة عن وزارة مستديمة تفعل ما تريد، لا حق لأحد في الاعتراض عليها، ولا نقد لتصرفاتها.

كان يشغل يعقوب هذا المركز الخطير بالكرم والسخاء ولين العريكة. جاء ذات يوم رجل مصاب بالجزام، رث الهيئة، أغبر الوجه، طالب حاجة، ووقف له عند مدخل داره. وفي الساعة الثانية بعد الزوال، عاد الأمير من الجامع، فحيط به ثلة من جنود الملازمية، وما كاد يدنو من مكان الرجل المجزم حتى هرول رجلان من الملازمية وأبعدا ذلك الرجل البائس، فصاح الأمير قائلاً: دعوه يقف مكانه، ثم قال للرجلين: هذا طالب حاجة، أفيكما من يتكفل بقضائها؟ فوجم الرجلان عند الجواب"[9].

يتفق مكي شبيكة مع ما جاء في المخطوطة، في أهمية هذا الرجل ومكانته ويضيف شبيكة: اصطفى الخليفة أخاه الأمير يعقوب وأصبح له نفس المركز الذي يحتله الخليفة من المهدي. ولو أنه في ظاهر الأمر برز الخليفة كصاحب الأمر والنهي والحاكم بأمره، إلا أن القوة التي وراء العرش كانت للأمير يعقوب، فهو المشرف على الجيش، يعين قواده ويمده بالزاد والمعدات الحربية، وهو وزير الداخلية من حيث عمال الأقاليم، يوفق بينهم وبين رعاياهم، ويعنى بشؤون الحدود، وهو محافظ أم درمان عاصمة المهدية، والمشرف على شؤون بيت المال، وهو

رئيس الوزارة. كان يتصل بالخليفة يومياً؛ يرفع له الأمر ويقترح، والخليفة يوافق ويعدل إذا رأى ذلك[10].

مما سبق ذكره أعلاه يتضح لنا إن الأمر بيد الخليفة أولاً كحاكم وبيد أخيه الأمير يعقوب كنائب له. ونجد الأمير مفوض في حلّ المشاكل والصعوبات داخل العاصمة وخارجها مع عمال الولايات ثم يرجع الأمر لأخيه الخليفة ليعلم ما أتخذه من قرارات وكأن شؤون الدولة أمر خاص بهما.

ويواصل المؤرخ محمد عبد الرحيم رسده قائلاً: "ثم قال لذلك البائس: أدخل أمامي. وبعد أن سار الرجل إلى داخل بيته، سار الأمير خلفه إلى أن بلغ مكان جلوسه. وهناك طيب خاطره وكساه ونفحه بشيء من النقود، وأذن له في الانصراف، وكان للأمير يعقوب نفقات هائلة، هي أشبه شيء بنفقات ملوك العرب قديماً، ومنها كانت له تكية تشغل المنطقة الواقعة بين بيت الأمانة وجامع المهدي، أي أمام مدرسة الأحفاد بأم درمان. كان المرتب الذي يخرج يومياً من الطعام 500 قدح، وكان القدح يكفي لإطعام 10 أشخاص، أي الذين يطعمون في مائدته يومياً 500 رجل، والميعاد المضروب لحضور أولئك الجمع ما بين صلاتي الظهر والعشاء. وما كانت الأطعمة من نوع واحد، بل كانت تختلف في مادتها، فكنت تجد بها كل أنواع اللحوم، كلحم الإبل والبقر والضأن والماعز، ما عدا الطيور والأسماك"[11].

يتفق مكي شبيكة[12] ويوسف ميخائيل[13] وعصمت حسن زلقو[14] مع ما جاء في المخطوطة، فيضيف مكي شبيكة قائلاً: كان يقوم بهذه الأمور في تؤدة ورزانة، وكان لين العريكة، واسع الصدر إلى حد كبير، كريم، يبالغ في كرمه، لا يرد من يطلب عونه، وعرف الناس له هذه المكانة وهذا المركز الممتاز. فكانت الوفود تؤم داره، وتبسط شكواها، ويخرج الجميع وهم راضون عنه، كما اتصف بالتواضع، فما شمخ بأنفه أو تعالى على الناس لمكانته من الخليفة، أو لنفوذه الكبير. يقبل عليه المختلفون وهم يتميزون غيظاً من بعضهم البعض، فما يزال يطلب منهم الهدوء،

فإذا ما استوعب أقوالهم أخذهم بالمنطق والحكمة وضرب الأمثال، وما هي إلا برهة إلا وقد هدأ غيظهم عن اقتناع منطقي، ويخرجون وقد هدأت النفوس وزال ما كان يفصلهم من خلاف. ويضيف أحمد إبراهيم أبو شوك: اشتهر بالحكمة والدهاء حتى كُني بلقب (جراب الراي).

مما سبق ذكره نجده يمتاز بسعة الأفق ورحابة الصدر والدهاء مما جعله يحتمل آراء المخالفين له ويستمر في إقناعهم حتى يرضيهم ويوفق بينهم دون ان يفرض رايه مما يجعله يستحق بجدارة وصفه بجراب الراي.

ويستمر المؤرخ في سرده ذاكراً "أما إيراد الأمير يعقوب، فكان عبارة عن هدايا من الماشية والنقود وكميات أخرى من الذرة والقمح والبلح، يأتي من أمراء الجهات وأعيان البلاد. وكانت له شونه في مكان منزل العمدة عباس رحمة الله وأمين يتولى استلام الوارد ويباشر الصرف، وكان لهذا الأمير ديوان به لفيف من الكتاب" كالآتي بيان أسمائهم:

(1) محمود علي الاحيمر – مصري من

(2) عمر الصادق – رباطابي خدم في الحكومة الحاضرة بضبطية أم درمان، وتوفي إلى رحمة مولاه.

(3) عبد الحليم أحمد – مصري

(4) عبد القادر محمد الأمين – جعلي

(5) بابكر عبد الرحيم

(6) السيد معوض أبو عسكر

(7) السيد محمد البرماوي – مصري

(8) أحمد عبد الحميد – مصري مولد

(9) حامد أبو بكر ملاس

(10) بانقاس موسى يعقوب. والأخير كان رئيس الديوان وصاحب الكلمة النافذة".[15]

يتفق عصمت حسن زلفو(13) مع ما جاء في المخطوطة حول ديوان الأمير يعقوب وموظفوه؛ مما يعني مزيداً من الواجبات والأعباء على الأمير، وذكرها عصمت زلقو في الآتي:

1. ممارسة السلطات التنفيذية.
2. الإشراف على بيت المال الرئيسي وبيت المال في كل أنحاء البلاد.
3. الإشراف على بيت الأمانة والذخيرة "قبل أن يفصل الأمير شيخ الدين بن الخليفة عبد الله الملازمين من بيت الأمانة".
4. تعيين الأمراء وقادة الجيوش وإجراء التنقلات.
5. تمويل وتسليح الجيوش والبعثات العسكرية.
6. إدارة كل شؤون الأمن داخل وخارج العاصمة.
7. الإشراف على ملكية الأراضي وتحرير الوثائق الخاصة بها.

ويضيف عصمت زلفو بأن الأمير اكتسب محبة أهل أم درمان، عكس شعورهم تجاه باقي عشيرته، وكان حاتمياً في الكرم، ويختلف مع ما جاء في المخطوطة ذاكراً: أنه ترفع عن التعصب القبلي، وكان يتدخل ليصلح ما يفسده قومه المتعجرفين[16].

مما سبق ذكره من تفصيل للمسئولية الملقاة على الأمير يعقوب يوضح ان الدولة تدار بنظام ملكي وان السلطة المحتكره في اسرة الخليفة عبد الله التعايشي لانه لو كان يثق في الاخرين لكان له عدد من المساعدين إلى جانب اخيه الامير يعقوب.

يستمر المؤرخ في سرده قائلاً: "وكان الأمير يعقوب باراً بأهله إلى درجة قدمهم في كل أمر من الأمور ذوات البال، حتى أتهم بالتعصب لهم؛ لعدم التفاته إلى نظر الشكاوى التي تقام ضدهم على إثر المظالم المرهقة والاستبداد الفظيع، الذي

كان يحدث منهم غالباً. أما معاملاته لعامة الشعب، فكانت مرضية. ولم يحفظ التاريخ له سقطة من سقطات الملوك والأمراء، كالميل إلى البذخ والاستئثار بالنعمة والاندفاع في حب الاستبداد بالرعية[17].

يتفق عصمت زلفو مع ما جاء في المخطوطة، ويضيف: سقط يعقوب من ظهر جواده من طلق رشاش وهو ممسك بحربته حتى توفي[18].

يتفق نعوم شقير(19) وسير ونستون تشرشل (20) مع ما جاء في المخطوطة فيقول: أصدر الخليفة أمره يعقوب صاحب الراية الزراق (السوداء) فحمل الجيش حملة صادقة، وكان هجومه على لواء مكدونالد، وما زال رجال يعقوب يكرون طالبين اختراق صفوفه والموت، ونيران اللواء تنكل بهم تنكيلا، حتى تراكمت جثث القتلى كالربى، وقتل يعقوب نفسه وخذل جيشه. وكان الخليفة قد أرسل حرسه الخاص بقيادة بخيت جاموس لنجدة أخيه يعقوب، فأصابه ما أصاب يعقوب. يذكر تشرشل قائلاً: كانت الراية السوداء في وسط سهل كرري بقيادة الأمير يعقوب تخفق عالياً بشكل مميز، بينما حشدت قوات كبيرة تحت عدد من الرايات البيضاء، كان الرمز الأحمر للخليفة شريف كان يخفق بكل عزة، وقوة امبراطورية الدراويش خرجت... في هذا اليوم.

كما يتفق ب. م. هولت(21) مع ما جاء في المخطوطة قائلاً: إنه في تصورنا، كان المنادي الذي لا يحيد عن مبدأ سيادة التعاشي، وكان يعقوب – بوصفه وكيلاً للراية الزرقاء – ذا مسئولية خاصة للعناية والإشراف على المهاجرين من البقارة.

ويقول المؤرخ محمد عبد الرحيم "وكان لا يفتر لسانه عن تلاوة القرآن الكريم. وفي يوم 2 سبتمبر سنة 1898م، ختم حياته ببطولة مدهشة وأعمال مشرفة؛ حيث خطب في أتباع رايته الزرقاء خطبة حماسية، حضهم فيها على الجهاد والصبر على المكاره. ثم لوى عنان جواده وضرب لهم الرقم القياسي في البطولة وعدم الاكتراث بالموت، حيث هجم هجوماً عنيفاً وتبعه الفرسان، ومن خلفهم المشاة،

فتعرضوا بذلك إلى نيران الجيوش المصرية، التي برحت بهم تبريحاً فظيعاً، فصرعوا على الميدان حتى كانوا أكداساً كأنما عناهم الشاعر بقوله:

لمن العسكر المكلل بالصرعى فهـــم بين مـــيت وقتيل

فتراهم تسفى الريـــاح عليهم حاصب الرمل بعد جر الذيول

ولما كان القائد الأعظم لجيوش المهدية في واقعة كرري هو الخليفة عبد الله بن محمد ونائبه المباشر لإدارة رحى تلك الحرب الفاصلة، التي تلاها زوال المال وانقضاء صفحة من تاريخ هذه الأمة، والشروع في تسجيل أخرى هو الأمير العظيم يعقوب، والذي أرغم عدوه على الاعتراف ببطولته وإقرار عبقريته العسكرية. هذا ونشرت جريدة الوقائع المصرية وصفاً بليغاً لكاتب حربي شهد الواقعة ووصفها وصفاً نزيها لا شائبة للغرض فيه، جاء بعدد الوقائع 2572 بتاريخ سبتمبر سنة 1898م الموافق غرة جمادى الأول سنة 1316هـ تفصيل واقعة أم درمان"[22]

يتفق مكي شبيكة [23] مع ما جاء في المخطوطة، ذاكراً أن الخليفة بعد أن علم بالفشل في كرري، رجع لأم درمان وتجهز بعائلته وصحبه المخلصين، وتحركوا من أم درمان جنوب إلى أرض الغرب ليواصل جهاده من هناك. يتفق السير ونستون تشرشل مع ما جاء في المخطوطة، ذاكراً أن الخليفة رجع إلى أم درمان ودخل ضريح فيه المهدي، وصلى فيه ثم سمع الخليفة في الرابعة أن السردار يدخل أم درمان، فغادرها ممتطياً ظهر حمار ومعه زوجته الأولى، وراهبة إغريقية كرهينة وبعض خاصته، واتجه نحو المقرن حيث كانت تنتظره الجمال السريعة وبقايا جيشه والأمراء المنسحبين معه[24].

ويواصل صاحب المخطوطه سرده قائلا: "فكان يوم 2 سبتمبر 1898م يوماً عبوساً قمطريراً، نعم دخلت الجيوش الإنكليزية المصرية قسراً تحت حماية البواخر الحربية، التي ما فتأت ترسل نيران المدفعية إلى كبد المدينة، حتى غابت الشمس، وكان لأنصار المهدية في كل ميل كميناً يناوش المحتلين القتال، حتى اسدل

الظلام حجاب الخفاء. وهناك خرجوا مع العائلات والأولاد، وما استتب الأمن إلا بعد عشرة أيام من الواقعة.

كتب المستر بنت بيرل مكاتب جريدة الدالي تلغراف الإنكليزية رسالة ضافية، شارحة لواقعة أم درمان، ذاكرة ما كان للمصريين والسودانيين من الفضل الأول في ذلك الانتصار الباهر، فرأينا أن ننشر ترجمتها حفظاً للتاريخ:

قال حضرته عن "شجاعة المصريين والسودانيين".

أم درمان في يوم السبت 3 سبتمبر بعد الظهر، (أرسل إلى جريدة نرى يوم الاثنين 5 منه)، أصبح في استطاعتي أن أبعث لكم شرحاً وافياً عن اليوم الثاني من واقعة أم درمان، ولا يخفاكم أنه لم يكن في الإمكان إرسال ذلك في يوم الواقعة نفسها بسبب الخطر الشديد على المراسلات*، فاضطررت حينئذٍ لاختصار الواقعة في مذكرتي.

وإليكم الشرح الوافي عن حملة الدراويش الذين هاجمونا أول يوم، فأصدر السردار أوامره للألوية الإنكليزية بعد أن سارت الجنود المصرية والسودانية قبل ذلك، والتجأ العدو للتقهقر، ولم يحصل في اليوم الأول غير هذه الحركات، وفي اليوم الثاني كان التعايشي برجاله مستعداً للقتال في أعالي الموقع، ثم استأنف الحملة على الجنود المصرية، وحينذاك، اندفع كالسيل الجارف إلى الأمام، غير أن المصريين والسودانيين قابلوهم بشجاعة وثبات، يمدح عليهما أعظم الجيوش المدربة على القتال السنين الطوال[25].

يتفق سير ونستون تشرشل[26] مع ما جاء في المخطوطة، مضيفاً: إن ماكدونالد ذلك القائد المخضرم، قد أوقف تحركه، وبدأ بنشر قوته استعداداً لشن الهجوم. وكان قد اكتشف قوات كبيرة للعدو على الجناح الغربي لسرغام. أمر بطاريات المدفعية الثلاث بفتح نيرانها بعد، خمس دقائق ظهرت القوة المهولة تحت الراية الزرقاء "15 ألف مقاتل" تحت قيادة يعقوب، بالإضافة لقوة الحرس (الملازمين).

لذا اضطر الجيش الغازي إلى تغيير خط سيره إلى أن يتحول الجيش من اتجاهه نحو الجنوب مع شماله على النهر ويمينه إلى الصحراء، عليه أن يتجه غرباً شماله للصحراء ويمينه ناحية النهر، تغيير (شقلبة) كاملة.

ويواصل المؤرخ سرده قائلا: "وقد اصطفت الجنود المصرية على خط واحد، معها لواء مكدونالد السوداني، الذي كان جناحه الأيمن مرتكزاً على النهر، والجناح الأيسر واصلاً إلى سفح الأكمة العالية، كأنهم واقفون جميعاً للتمرين أو الاستعراض، لا يبالون بالموت الزؤام، ولم تظهر عليها الاضطراب والقلق حتى في النقط التي كان الهجوم عليها قوياً شديداً، بل استمرت الجنود على إطلاق نيرانها بثبات غريب ومهارة فائقة، ينصب رصاصها فيفتك بالعدو الذي بلغ عدده خمسة عشر ألفاً وأكثر، فتكاً ذريعاً، ولما كان السردار في هذا الحين يبتدئ في الزحف على أم درمان حيث الساعة 8 صباحاً. وقد رأى ما هو واقع أمامه في الجناح الأيمن، اضطر أن يوقف سير الجنود المصرية والسودانية على ما كانت عليه ثباتاً وشجاعة، حتى أن الجندي الواحد أفرغ في هذه المعركة – ساعتئذٍ – 120 خرطوشاً وفي الواقع ونفس الأمر أن الانتصار الباهر اكتسبه في تلك الساعة. وإن لم يأت لنصرة الجنود المصرية والسودانية في هذه المعركة الهائلة من الجنود الإنكليزية سوى أورطتي "السيفورت والكمروت ها ليلندرس". ويمكننا أن نقول بعد ذلك –بكل ارتياح– إن الفضل في رد الدراويش على الأعقاب والقضاء عليهم في ذلك اليوم هو جنود الخديوي المصرية والسودانية. وفي ذلك الوقت، عملت بطارية المكسيم وأورطة الميدان الثانية والثلاثون عملاً يذكر".[27]

يتفق سير ونستون تشرشل[28] على مدح جيش الخليفة؛ إذا قال: كل الأرض تعج بآلاف من القتلى والجرحى، كان السودانيون حريصين على عدم تخطي جثث الموتى أو المشي فوقها، وهي عادة سودانية معروفة. آلاف الأفراد الذين نجوا من الموت يتزاحمون مع النازحين والفارين إلى أم درمان، زحموا السهل ترقبهم أعين

أفراد الرماية بروح الانتقام. صمد يعقوب ورجال الراية الزرقاء، ولم ينكصوا على أعقابهم فارين، وقفوا وقفة رجال حتى النهاية، آثروا الموت في نفس الموقع، وعليه فإن الغزاة عندما وصلوا لمكان العلم، كان يرفرف فوق الموتى فقط.

لقد اشاد الاعداء قبل الاصدقاء ومنهم تشرشل بشجاعة الانصار وتضحية رجال الراية الزرقاء الذين لم يفروا من نيران المدافع والقنابل بل قابلوها بصبر وثبات يحسدون عليه إلى ان نالوا الشهادة بصبر وقدموا ارواحهم رخيصة في سبيل الدين والوطن.

ويستمر المؤرخ في سرده قائلا: "وقد كانت بالقرب من الواقعة ذروة عالية، كانت عليها فئة من الدراويش تطلق الرصاص، فسار إليها السردار بالجنود الإنكليزية، وطردها من مكانها. ثم سحبت المدافع بسرعة عجيبة إلى أعلى الذروة، التي كانت تجاور السهل المنبطح، الذي كان ميدان القتال بين الجنود المصرية والدراويش. ولما وضعت المدافع في ذلك المكان، أرسلت إلى البقارة ناراً حامية، أصلتهم وأضرت بهم، فاضطروا إلى التقهقر مرة ثانية عن جهة الوادي.

غير أن الجنرال مكدونالد أميرلاي الأورطة السودانية، أدار مقدمة جنوده بتحويل وجهها جنوباً... بهذا العمل الصعب في موقعة هائلة، لا كما يكون مثله وقت الاستعراض والتمرين. غير أن الجنود انتظمت بسرعة غريبة مدهشة، وبعد بضع دقائق، كانت نيران بنادقها تنصب على الدراويش، حتى اضطرتهم – وهم أشجع البقارة وأقدرهم على القتال – إلى التقهقر.فخفت بذلك وطأة هجومهم الشديد عما كانت عليه في أول الواقعة. وكانت الجنود الإنكليزية في ساعة هذه الواقعة تشاهد القتال؛ إذ كان العمل كله للجنود الخديوية"[29].

يتفق ب.م. هولت مع ما جاء في المخطوطة الذي نقلته عن مراسل الديلي تلغراف أن المعركة بدأت في بحر الثاني من سبتمبر وانتهت بعد الظهر. وقد قتل فيها يعقوب وكثير من كبار الأنصار الأقل شهرة.

وأبدى رجال الحرس الخاص والراية الزرقاء شجاعة نادرة بائسة في مواجهة المدافع النارية التي تسببت في خسائر كثيرة في الأرواح. كما حدث بالقرب من نهر عطبرة.

فلقد قتل ما يقرب من 11000 جندياً من الأنصار وجرح 16000 تقريباً في مقابل 48 قتيلاً و382 جريحاً من جانب قوات الجيش البريطاني.

وتعرض سفك الدماء الغزير للنقد في بريطانيا رغم البهجة الغامرة التي قوبل بها انهيار دولة المهدية البربرية وأخذ الثأر لغردون[30].

يواصل المؤرخ محمد عبد الرحيم قائلاً عن:

"**شجاعة الدراويش**"

"ولم تكن فرسان الدراويش قد عملت إلى هذه الساعة عملاً يذكر، حيث كان الراجلون يقدمون أنفسهم للموت قرباناً بدون أدنى اكتراث*. ولكن بعد ذلك شاهدنا من الشجاعة والإقدام من الدراويش بعد تقهقرهم أول مرة بالجانب الغربي من الوادي، وحملوا حملة أخرى، حيث كنا نراهم في خط واحد في غاية الانتظام، تلمع السيوف والحراب في أيديهم لمعان الكواكب، يليهم نحو ألفين أو ثلاثة آلاف فارس على صهوات الجياد متسلحين، وكانوا يقصدون أن يحملوا حملة شديدة على مقدمتنا ليمنعوا الجنود من إطلاق النيران، فيتمكن بذلك راجلوهم خلفهم من الالتحام معنا يداً بيد. غير أن ليس من السهل اجراؤه مطلقاً. وإن كان الدراويش لم يخافوا عاقبته. فاقبلوا. بشدة غير منتظمين، وساروا إلى الأمام متقدمين لا يبالون بشيء... على مقربة من منطقة نيراننا. وقد أوقفنا إطلاق النيران برهة وجيزة... إن كل جندي من جنودنا يشاهد بعينه هذا الإقدام منبهراً مندهشاً من أن هؤلاء الفرسان يتقدمون إلى الموت بهذه البسالة العجيبة وظلوا متقدمين حتى صاروا على مقربة من صفوفنا. وقد ساد السكون وخيمت الرهبة في الوادي بأجمعه واهتز الجند بالاعجاب العظيم بهؤلاء الفرسان الكواسر ولكن بعد دقائق انقطع هذا السكون.

حيث الفرسان لا يزالون يتقدمون إلى أن كان بينهم وبين الجند نحو 200 ياردة[31].

يتفق نعوم شقير[32] مع ما جاء في المخطوطة مشيداً بهجوم لواء مكدونالد على مقاتلي الراية الزرقاء فتراكمت جثثهم كالربى وقتل يعقوب نفسه وهزم جيشه كما قتل حرس الخليفة الخاص بخيت جاموس الذي ارسله الخليفة لنجدة أخيه يعقوب.

كان مؤلف هذا السفر جندياً في الصف الأول من أولئك المشاة المجازفين في هذا الهجوم وقد أصيب برصاصتين في فخذه الأيمن من الأمام ظلت إحداهما إلى أوائل سنة 1905م وهناك أجريت له عملية جراحية استخرجت بها الرصاصة.

(عند ذلك أطلق جزء من لواء مكدونالد عليهم النار. ثم رأينا فارسين من فرسان البقارة يميلان عن سرجيهما ثم اندفع أحد جواديهما إلى صفوفنا فانصبت عليهم نيران البنادق كالسيل الجارف وقد سقط منهم ستة إلى الأرض. ثم صاروا يسقطون واحد بعد آخر حتى لم يبق من ذلك الركب العظيم سوى 12 فارساً. ظلوا زمناً يتجادلون. ثم تطايروا إلينا برماحهم ومرفعاتهم ترفرف في الهواء. ولكن صاروا يتساقطون واحداً بعد آخر كان اخرهم سيف البنا ولم يصب برصاصة إلا بعد أن كان على نحو 30 ياردة[33].

وعندئذٍ انتهى دور الفرسان. وقد غطت الأرض باجسادهم جميعاً على أنه لم يكن هذا المنظر آخر مناظر الشجاعة الفائقة التي شاهدناها بل كانت مقدمة لشجاعة أغرب وأكثر اعجاب وابهار [33].

يتفق سير ونستون تشرشل[34] وعصمت زلفو[35] عن ما جاء في المخطوطة حول شجاعة الأنصار عندما اقتربت فرقة الرماحة من الجيش المهزوم. اتضح بان الروح القتالية للعدو لم تمت تماماً, رجال عنيدون يطلقون النار وهم جرحى على الأرض, رافضين طلب الاستسلام الذي ربما أحسوا أنه لن يعطي اهتماماً كل الذين احتموا تحت الشجيرات قد تجمعوا للقيام بمهمة بائسة رجال بالحراب وقفوا

في تحد دون أن يرمش لهم جفن في انتظار هجوم سرية كاملة. رجال بين الحياة والموت يقفزون فجاءه ويطلقون الرصاص على الفرقة. بدأت الفرقة تعاني من الخسائر نتيجة لهذا التصرف غير المعتاد إذ زادت الاصابات والخسائر مع كل تقدم. وكان للمطاردة العامة لم تتوقف. ويضيف زلفو هذا ما عرف بمعركة الافرد مما جعل السردار استغلال هذه الظاهرة في ابادة الجرحى والاسرى حتى بعد التسليم إليه. ووصلت هذه الفضيحة إلى اسماع العالم وأثارت ضجة مما أدى إلى مناقشتها في البرلمان وقد طلبت الملكة فكتوريا إيضاحاً من كتشنر عن طريق اللورد سالسيوري الذي سلم كتشنر الإيضاح. فانكر ذلك بالطبع ولكنه اعترف صراحة باهماله في معالجة الجرحى إذ أنه ترك الجرحى ليلاقوا مصيرهم دون أن تقدم لهم أي عناية طبية.

هذا التصرف يؤكد الرغبة في الانتقام نتيجة لهزيمة جيش هكس باشا وحملة الإنقاذ ومقتل غردون باشا لذا مارسوا كل أنواع القسوة والقتل ضد هؤلاء المدافعين عن الوطن.

ويواصل المؤرخ محمد عبد الرحيم قائلا: " آخر الحملات وحماية الراية السوداء"

ما مضى لم يثني من عزيمة رجال التعايشي الراجلين بل هو قد زادهم حماسة وإقداماً. وكأنما نيران حب الانتقام اتقدت في صدورهم. فساروا إلى الأمام آخذين السهل عُرض وجوههم مطالبين بثأر أولئك الفرسان البواسل. وقد ظلوا هكذا لا يلوون على شيء ويطلقون بنادقهم وهم زاحفون على جنودنا حتى أن الجو اقتم مغبراً بسهامهم ولكن لحسن حظنا كانت مراجمهم عالية فكان رصاصهم يتطاير فوق رؤوسنا بغير جدوى"[36].

يتفق تشرشل [37]وهو شاهد عيان اوروبي روى هذه الأحداث التي تتطابق مع كتاب آخرين اوروبيين وسوادنيين فحكم على شجاعة هذا الشعب وتضحيته من أجل الوطن وتفوق الغزاة لأنهم أكثر تدريب وأسلحة حديثة فتغلبت الآلة الحديثة

على الشجاعة والكثرة. ورغم ذلك قاتلوا قتال الابطال كالنسور الكواسر فأقر العدو بتلك الشجاعة النادرة وهي مضرب المثل إلى الآن.

يتفق عصمت[38] مع ما جاء في المخطوطة ويضيف عندما اقتربت صفوف السردار من رئاسة الخليفة وازدادت حدة نيرانه وانعزلت رئاسة الخليفة وبرزت كهدف لنيران العدو بدا من كانوا حوله في محاولة اقناعه بالانسحاب لأم درمان لئلا يقع في الأسر تولى محاولة إقناعه مجلس شوراه والقضاة فهم الوحيدون الذين توفرت لهم الشجاعة لطرق هذا الموضوع.

فتولى الحديث الشيخ محمد البدوي والسيد المكي والبنا فقال محمد البدوي "الحرب سجال ورجال تمشي أم درمان تموت تحت القبة وهل تريد يا سيدنا نستهلك كل جيوش المهدية في معركة واحدة؟! وقال السيد المكي ما دمت حياً فالدين منصور فلنتحيز من العدو لئلا يتمكنوا من أسرنا. وبعد قليل جاء خبر استشهاد يعقوب فأصابت الخليفة بهزة عنيفة لم يقف منها أبداً وأصبح كل همه الاستشهاد على فروته. فذكر الشيخ بابكر بدري قال السيد المكي كان يتكلم مسفر الوجه لم تظهر عليه علامة يأس أو خوف حتى جاء خبر استشهاد يعقوب فاطرق ملياً وجرى عرقه ولم يتكلم بعدها". سكن الجميع والرصاص يتطاير من حولهم احتراماً لحزنه وهنا انضم عثمان دقنة مع أبو جكة وانهضا الخليفة. فلم يقاوم ومشى دقنه راجلاً بالقرب منه وهو يتحدث إليه " أن تلك ليست نهاية كل شيء" وبالتاكيد سيتمكن الخليفة من جمع جيش آخر يواصل به الكفاح ضد العدو " يوماً ما سيموت كلانا ونحن نحارب على صهوات الجياد ولكن ما الفائدة من الجلوس على فروتك وانتظار العدو والموت بالرصاص جالساً. هكذا اقنع الخليفة بالتراجع وتكوين جيش ولكن في نهاية المطاف مات على فروته في شجاعة نادرة مع رفقائه بعد أن أدرك أن الاستمرار مستحيل والنصر بعيد المنال مع تلك الأسلحة الفتاكة.

ويواصل المؤرخ سرده قائلا: "وكانت هذه حملة الخليفة الأخيرة تخفق في وسط رايته السوداء. وقد أخذت مدافعنا وبنادقنا تصب عليهم نيرانا حامية حتى قطعت صفوفهم ولا سيما المدافع التي كانت على مرتفع مطل على الوادي. فإنها عملت عملاً يذكر. إلا أننا شاهدنا بعد ذلك منظر من أعظم مشاهد القتال شجاعة وإقداماً وإخلاصاً لا مثيل له في تاريخ الأمم ولا في خيالات القصص والروايات حيث كانت الراية الزرقاء المنقوشة ببعض الكلمات الدينية تخفق وحولها يسقط الدراويش زرافات ووحدانا صرعى بقنابل مدافعنا ورصاص بنادقنا إلى أن فر الخليفة التعايشي وبقيت الراية بين رجلين فقط. وقد وقف بجانبها, وكل واحد منها قابض عليها بيده اعزلين من السلاح مواجهين للنار.

ثم سقط أحدهما مصاباً برصاصة, ولكن بعد سقوطه تجلد وقام على ركبتيه وقد مد يده فأمسك الراية مع رفيقه وظل كذلك يتخبط في دمه مسلماً روحه مفارقاً الحياة الدنيا عند ذلك فارق الراية وبقي رفيقه قابضاً عليها بيده اليسرى ومولياً بوجهه نحونا لا يتحرك ولا يضرب كأنه تمثال من صخر لا يتأثر. ولكن سقط في آخر الأمر وانتهى بذلك الواقعة" [39].

يتفق يوسف ميخائيل [40] وسير ونستون تشرشل [41] مع ما جاء في المخطوطة ويضيف أنه من أشهر أمراء المهدية في عمالة دنقلا اشترك في معظم الحروبات التي خاضها الأنصار في وجه الجيش الانلجيزي المصري وأخيراً استدعاه الخليفة ليسهم في تحصين أم درمان, واستشهد في واقعة كرري 1898م.

ويضيف يوسف أنه ذهب في اليوم الثاني للمعركة لبحث عن أخ لهم قتل فوجد سيدة ومعها اثنين من الخدم واثنين من العبيد تبحث عن عثمان ازرق فدلها على مكانة ونصحها بعدم البكاء ووقف معها حتى تم دفنه وكذلك دفن أخيه ويشير ونستون تشرشل بعثمان أزرق ويصفه بالبطل الصنديد وكذلك ود بشارة ويعقوب ذاكرين أنهم كانوا رجالاً عظماء رقدوا وأنظارهم نحو النجوم.

هؤلاء الأجانب انصفوا هؤلاء القادة الابطال ووصفوا إعجابهم بشجاعتهم فهذه شهادة الأعداء قبل الأصدقاء.

ويواصل المؤرخ سرده قائلاً: "وبعد انتهائها سرت بنفسي لا تفقد محل الواقعة فرأيت أكثر من ثلاثين فارساً مجندلين حول الراية. ورأيت الذي بقي اخرهم جريحاً وعلى جسده أكثر من 20 رصاصة اصابته بعد ذلك المنظر المؤثر إطلاق النيران من جنودنا بضع دقائق..... الدراويش وكان بعضهم قد طلب الفرار وبعضهم القي سلاحهم كدراً وحزناً وصار يمشي الهويناء غير مكترث بالرصاص الذي يتبعه. بذلك تم القضاء على قوة التعايشي أما قومه البقارة فسار من بقي منهم إلى بعض آكام تبعد قليلاً عن النيل فانطلق في أثرهم الفرسان المصريون والأورطة الهجانة حسب الأوامر الصادرة بذلك لتمنعهم عن المسير في الصحراء وسار بعض جنود التعايشي إلى أم درمان حيث كانت نيران البنادق تتبعهم أيضاً وبعد ذلك تقدمت الأورطة الثانية السودانية والثانية والثلاثون على خط واحد مقتفين أثر الدراويش وتم الانتصار الباهر. وكان الطريق لتلك المدينة في سهل مغطى بالجثث الملتحفة بالمرفعات البيضاء حيث كان ضمن القتلى أخو الخليفة ومشيره الأمير يعقوب والأمير شيخ الدين بن الخليفة[42].

" والصحيح يعقوب الامير يعقوب محمد" والأمير عثمان أزرق. قائد آخر من أعظم قواد المهدية وبعض الأمراء المختلفين.

ما كان فرار الخليفة عبد الله حرصاً على حياته ولكن كانت تحيط بطانة من المأجورين فهم الذين ألحوا عليه في القيام من منطقة الخطر قائلين الآية "متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة" فإنهم زينوا الخروج من الميدان لكي يكر على الأعداء والحقيقة التي لا نزاع فيها ملوا الصبر معه في مثل ذلك الأمر الرهيب وخافوا بطشه أن حاولوا النجاة من عنده حتى أنهم حملوه على أيديهم وأركبوه على حمار كان لأحدهم وعندما سار نحو 800 ياردة قلبو ملابسهم المرقعة وانضموا إلى

السردار فعرفهم سلاطين باشا فانفضوا من حول الخليفة غير عابئين بإيخاء رجل ظلوا يتوددون إليه ردحاً من الزمن.

مما سبق ذكره نجد الخليفة عبد الله كان حريصاً على الشهادة في معركة كرري وكان مجلس الشورى الذي كان معه في ارض المعركة لم يكن يرغب في الموت لذا اقنعه بضرورة الانسحاب والعودة مرة اخرى لاسترداد الحكم. ولكن لم يهاجر معه الا المخلصين من اتباعه وعشيرته وعندما واجه المستعمر في ام دبيكرات لم يكن معه مما نصحوه بالانسحاب الا الامير عثمان دقنة الذي نجأ من الموت وكما اراد الشهادة نالها وهو جالس على فروته لم يهرب وكما قال الشاعر في الفروة كان حسن الختام فلقي الخليفة عبد الله ربه مخلصاً لدينه ولعقيدته محباً لوطنه فلم يبخل بروحه فقدمها مقتنعاً بشهادة فنالها فلقي ربه آمناً مستقراً فله الرحمة والتقدير.

المبحث الثاني

الأستاذ الحسن الحاج سعد

يقول المؤرخ محمد عبد الرحيم في مخطوطته: "كان هذا من العلماء العاملين والأبطال المبرزين قضى الشطر الأول من حياته بين دوي السلاح وهزيم المدافع ولد بالغبش في شمال النيل تجاه بربر حوالي سنة 1258هـ-1843م وكان والده عبادياً من فرع الفاقراب من التجار المشهورين بين السودان ومصر أما والدته فالسيدة فاطمة الرباطابية من فرع السنجراب يقال كانت من صالحات النساء. فنشأ ولدها نشأة دينية بحتة حفظ القرآن الشريف في الغبش وغيرها ثم تلقى العلوم الدينية والعقلية على أستاذه محمد الخير في الوقت الذي كان يدرس فيه السيد محمد أحمد المهدي فأصبحت بينهما علاقة روحية وروابط سياسية ترقى إلى غرض واحد وهو تحرير البلاد من نير الترك والقضاء على قضائهم الوضعي ومغارمهم المرهقة. ولقد عين مدرساً بالخرطوم فأتيح له الأخذ على السيد حسين مجدي الذي كان بحراً زاخراً في علوم المعقول والمنقول. وبينما هو كذلك إذ سمع بحركة المهدية وهي غضة في أول أطوار التكوين فمرق من الخرطوم مروق السهم من القوس وهاجر إلى صديقه الحميم فقابله بالأبيض سنة 1300هـ-1883م وبايعه على الجهاد وساهم في نشر دعوة المهدية برسالة ألفها في تصوف المدعي ووجوب مظاهرته وخوض غمار الحروب تحت لوائه، فأعجب المهدي به وقدر له ذلك المجهود العظيم ولقبه بالأمير فشهد واقعة شيكان[43].

يختلف محمد إبراهيم أبو سليم مع المخطوطة في تحديد ميلاده فيذكر أنه ولد في بربر في عام 1844م ويتفق مع المخطوطة في أنه من بطون العبابدة وأن له علاقة ببعض بطون الرباطاب لأنه أشار في إحدى خطاباته إلى الخليفة إلى بطن السنجراب بأنهم أخواله وقد زامل المهدي في خلوة الغُبش نحو ثلاثة أعوام[44].

مما ورد ذكره في المخطوطة نجد انه زامن المهدي في خلوة الغبش عندما سمع باعلانه للمهدية في الابيض هاجر اليه واقتنع بفكرة الجهاد للتخلص من الاستعمار التركي فرحب به الامام المهدي.

يواصل المؤرخ سرده قائلاً: "التي أبيدت فيها الحملة المصرية التي طوح بها السير بارنج "اللورد كرومر" في صحاري جرداء لا ماء بها ولا كلأ ليصطاد عصفورين بحجر واحد. أي أنه يريد القضاء على فلول العرابين الذين نجو من واقعة التل الكبير وخنق المهدية في التكوين وهيهات فإنها كانت محاولات فاشلة لم تزد المهدية إلا قوة. وكذا شهد حرب الداير بالرهد ورافق المهدي في زحفه على الخرطوم وساهم في حصرها إلى سقوطها يوم 25 يناير 1885م وسار إلى بربر فوجدها مطوقة بجيوش المهدية فأخذ في المفاوضة بين أستاذه محمد الخير وابن عمه حسين باشا خليفة حتى تم التسليم, ومن ثم عين أميراً عاماً البقاز أبي حمد وذلك بعد أن اشترك في معارك الكرو والدبة الخ وأبلى فيها بلاءاً حسناً. وقد قام في جيش كثيف لإيقاف تقدم الحملة الانكليزية التي فازت في واقعة كربكان بعد أن قتل قائدها الجنرال إرل وتولى قيادتها الجنرال بركنبري يقال أنه قابل الحملة) [45].

يتفق محمد إبراهيم أبو سليم(46) في لقاء الحسن سعد العبادي بالمهدي في الأبيض ولكنه لا يذكر التاريخ ويعتقد أن اللقاء تم بعد انتصار المهدي في شيكان ويضيف أن ذلك تم بعد إعلان غردون تصفية الإدارة المصرية في السودان وإذا صح ذلك فإن قوله بتصديق المهدي بمجرد سماعه بخبر المهدي يكون موضع شك ويصبح هو ممن جاء إلى المهدي بعد أن وضحت نهاية الإدارة المصرية, مثله في ذلك مثل محمد الخير أستاذ المهدي واخرين من أهل الشمال والدليل أنه جاء بعد هزيمة هكس أنه لا يذكر مشاركته فيها وأن واقعة هكس كانت في 4 محرم 1301هـ وكان فراغه من كتابه في 5 رمضان 1301هـ أي أنه انتهى من الكتاب بعد ثمانية أشهر من المعركة. يتفق محمد إبراهيم أبو سليم مع المخطوطة

في تعيين المهدي الحسين خليفة عاملاً عموميا على سائر العبابدة في مصر وعين تحته ثلاثة امراء لقيادة فروع العبابدة الشناتير والقفرا والعشاباب. مستثنياً منهم العبابدة المقيمين في السودان والذين تستمر تبعيتهم لعمالة بربر. وأوضح أن إمارة الحسن العبادي كانت أولاً على العبابدة في عمالة بربر وقد تولى الحسن سيدين وشمعون إبراهيم الإمارة في نفس الوقت على جماعات منهم.

وحتى عندما تكونت عمالة حسين خليفة على عبابدة مصر احتفظ هؤلاء بإمارتهم على عبابدة بربر مع محمد الخير. إلا أن الحسن بن سيدين تحول إلى عمالة حسين الخليفة فيما بعد بحكم وجود أهله في مصر. وجاء تعيين الحسن على أبي حمد على يد الخليفة. وأوضح أن إمارته شملت كل قبائل الإقليم إلا الرباطاب فإن إمارتهم ظلت بيد أمرائهم من عائلة أبي حجل.

يختلف نعوم شقير مع كاتب المخطوطة في أن سقوط الخرطوم في يوم 9 ربيع الثاني سنة 1302هـ- 26 يناير 1885م[47]. ونفضل أن نقول تحرير الخرطوم لأنها أخرجت من يد المستعمر واستردها قائد وطني.

لقد عين الخليفة الاستاذ الحسن لاقتناعه بجهاده منذ ان بايع الامام المهدي في كردفان واختلف مع ابو سليم الذي يعتقد ان الاستاذ الحسن بايع الامام المهدي بعد اعلان غردون تصفية الادارة المصرية وكانه وجد نفسه مضطراً لذلك ولكن اذا كان الاستاذ غير مقتنع بفكرة المهدية في حد ذاتها فانه مقتنع بالجهاد ضد الاتراك وحكمهم التعسفي لذلك انضم إلى صفوف المهدية رغبة في طرد الاجنبي المستعمر.

يستمر المؤرخ في سرده قائلا: "الانكليزية بدار المناصير بالتبة غرب النيل وكان الانكليز بالشرق ومجرى النيل ضيقاً وكان بالمكان حصون طبيعية وهي جبال شاقة وآكام متعانقة فخطب في جيشه حضه على الصبر والمثابرة وأمر رجاله بأن يتحصنوا وراء الجبال ويطلقوا الرصاص من قننها وقال لا تثريب عليكم في شيء

من ذلك لقوله تعالى: (واقعدو لهم كل مرصد)(*) فقال محمد أبو حجل الذي كان واجداً على الانكليز لقتلهم ولده موسى أبي حجل كلا بل يجب الهجوم مرة واحدة حتى ننتصر أو نرزق فضل الشهادة. ولما تباينت الآراء قال رحمة أبو حجل ينصح الجيش في العمل برأي الأمير "الزول قبض وشرم ما تخالفوه" يقصد بالزول الحسن حاج سعد وقبص وشرم شبهه بالسمكة التي تقبض وتشرم شدقها وتفلت من الصياد. ثم تحذر الوقوع في شراكه مرة أخرى. أي أن هذا الأمير سبق له أن تورط مع أحمد المهدي في حرب مصطفى ياور باشا وأفلت من الموت فلا يمكن أن يندفع في مغامرات فيعرض جنده لنيران العدو يمثل ذلك الهجوم الطائش أو بعبارة أوضح أنه أصبح أهل خبرة يجب الاقتداء به والعمل برأيه. وبينما كان الشيخ الحسن الحاج سعد واعيان جيشه يتفاوضون في أمر الهجوم أو الدفاع إذ تلقي الجنرال بركنبري أمراً من اللورد ولسلي يقضي عليه بالانسحاب لموت الجنرال غردون والعمل على إخلاء السودان فعادت الحملة الانكليزية وكفى الله المؤمنين القتال فعاد الحسن الحاج سعد بجيشه(48).

يتفق نعوم شقير (49) مع ما جاء في المخطوطة ويذكر أن الجنرال بركنبري مع عساكره هاجم الدراويش الذين كانوا على جبل كريكان واستمر القتال أربع ساعات ونصف وقتل من الدروايش حوالي 800 رجل وفيهم الأمير موسى ولد حجل أما خسارة الانكليز فكانت 3 ضباط و7 عساكر قتلى و4 ضباط و43 عسكرياً جرحى. ويضيف نعوم شقير وصل تلغراف من اللورد ولسلي بتاريخ20 فبراير يقول فيه" إني عدلت من فتح بربر إلى الخريف ألآتي فقف عن السير إلى أبي حمد ولكن أحرق ودمر البلاد التي اشترك أهلها في قتل الكولونيل ستيوارت وعد بالجيش إلى مروى" وبالفعل أحرق منزل سليمان ود قمر الذي غدر به الكولونيل وأحرق منازل أهله وسواقيهم ونخلهم.

ويواصل المؤرخ سرده قائلاً: "وهناك نيط به المحافظة على بوغاز أبن حمد وكان جيشه يتألف من العبابدة والفادنية والرباطاب والمناصير والعبابدة وجزء من الكبابيش. فصار يرسل عصابات من الهجانة تناوش حدود الحكومة المصرية وقد استشهد بضعة رجال من إخوته، ومن ثم عين قاضياً شرعياً إلا أنه ما لبث في منصب القضاء طويلاً للحاجة إليه في مواطن البأس.

مما سبق نلاحظ الخبرة في ادارة المعارك التي تميز بها الامير الحسن حتى ان اتباعه المجاهدين عندما اختلفوا في الهجوم او التريث اختاروا ان يتركوا له الامر بحسب خبرته السابقة فامرهم بالصبر والثبات فكفاهم الله شر القتال وقررت الحملة العودة ولكن بعد ان انتقمت.

" **واقعة علي**"

(وفي سنة 1306هـ قام على رأس جيش يتألف كالآتي 500 مقاتل هجانة بإمرة الشيخ الحسن حاج سعد القائد العام و200 هجانة بإمرة أحمد عبد الله كردي المكني الفادني بأبي ناجحة القادني و300 هجانة بإمرة أحمد أبو علي المشهور بأبي جديري و30 رباطابياً كان يشرف عليهم القائد العام فالجملة 1030 فارساً. قامت تلك القوة فقال خليفة المهدي للأرباب البشير ود بطران من الذي يصلح لإمارة البغاز منكم فأجابه بقوله يليق لها دقرشاوي أبو حجل فكتب له أمراً بذلك.

"**فرار الحسن حاج سعد** "

(أمر الحسن حاج سعد بملازمة "الفروة" أي الصلوات الخمس بأم درمان ولما كانت هذه من أنواع العقوبات التي توقع على أناس غير مرضي عنهم" [50].

يتفق محمد صالح ضرار [51] مع ما جاء في المخطوطة فيذكر أن الخليفة عبد الله عندما سمع من عثمان دقنة ببناء قلعة في أبي حمد حلايب من قبل اللورد كتشنر لمنع تهريب الرقيق وأسرى الحرب. أمر الحسن الحاج سعد بالاستيلاء عليها حتى لا يتخذها العدو سواكن أخرى وإعانه بقوة أخرى بقيادة أحمد نصراي وبغدادي

فاخترقوا الصحراء –صحراء عتباي– ودارت معركة بين الأنصار والجنود انتصر فيها الأنصار واستولى على مدينة حلايب وضواحيها وأرسلوا سراياهم إلى الشمال لجمع الزكاة.

يتفق محمد إبراهيم أبو سليم [52] مع المخطوطة ويضيف محمد صالح ضرار حول فرض الزكاة واختلاف الحسن الحاج سعد مع إبراهيم الفور أمين بيت المال حول الضريبة على البضائع لدى العربان في عتباي بحجة أنه معين للدعوة وليس لجمع المال واتهامه إبراهيم بحب الدنيا وجمع الأموال ومن المؤسف ان يعاقب الاستاذ الحسن حاج سعد بالعودة إلى ام درمان وملازمة الفروة لانه اعلن عن رايه في رفض الجباية لانها ليس من صميم عمله وان الدولة في حالة حرب ولا يوجد مال في ابدي افراد الشعب فالعقوبة من قبل الخليفة تدل على الاستبداد بالراي.

يواصل المؤرخ سرده قائلاً: "فامتعض الشيخ الحسن حاج سعد لتلك العقوبة التي جاءت بعد تضحيته ومجازفات خطيرة لو كانت لدولة متمدنة لكالت له الألقاب والأوسمة وبوأته مكاناً قصياً من مقاعد الرئاسة التي كانت الجنسية التعيشية شرطاً متمماً لها إذ ذاك بدون نظر إلى المواهب والكفاءات. ففر هذا القائد الباسل الذي جمع بين السيف والقلم وبين عشيرته وذويه في سنة 1897م–1314هـ إلى رئاسة الحملة المصرية الانكليزية ومن سوء حظه سأله قلم المخابرات بمروي عن إحصاء جيوش المهدية. فقال لا ادري لأني كنت أشبه شيء بالمسجون فغضب مدير مخابرات الجيش وظنه جاسوساً من المهدية ولما تقلص حكم المهدية ومهد لنفوذ الانكليز وزعوا مراكز القضاء والإفتاء للذين كانوا يرفعون إليهم أخبار المهدية فعاد الشيخ الحسن حاج سعد لوطنه أبي حمد واشتغل بالزراعة ونشر التعاليم الدينية بدروس أخذت بمجامع القلوب لبيانه لاذاقة لسانه. وبعد زمن دعي إلى مناصب القضاء وعين قاضياً شرعياً لدنقلا وما لبث أن حج إلى بيت الله الحرام سنة 1322هـ–1905م وتوفى إلى رحمة مولاه في ينبع ومن أنبل أعماله[53].

يتفق محمد إبراهيم أبو سليم مع ما جاء في المخطوطة حول خلافه مع الخليفة ويضيف أنه هرب إلى الأراضي المقدسة وفي مكة امتهن التعليم وأسس مدرسة وقد وضع الشيخ حسن سعد العبادي في عام 1316هـ-1898م نظاماً لكتابه الذي أسسه في مكة المكرمة جدد فيه ما يجب على ولي أمر التلميذ أن يدفعه أثناء دراسة ابنه في الكتاب[54].

ويبدو أن نظرة الشيخ إلى التعليم تغيرت لأنه ذهب إلى بلد إسلامي غني لأنه تعلم في خلاوي السودان والتعليم عادة يكون مجانياً.

أيضاً يتفق محمد إبراهيم أبو سليم مع ما جاء في المخطوطة حول تعيينه في حكومة العهد الثنائي قاضياً شرعي واستمر في عمله إلى أن أحيل للمعاش[55].

يواصل المؤرخ سرده قائلاً: "أنه شيد ثماني خلاوي لدراسة القرآن الشريف جلب لها المدرسين على نفقته وكان كريم الأخلاق لين العريكة خبيراً بالكر والإقدام وملاعبة السهام.

فما أخلقه بقول الشاعر:

(أتته المنية حين تم تمامـــــــه ** واقصر عنه كل قرن يناضله
وصار كليث الغاب يحمي عرينه ** فترضى به أشـــباله وحلائله
عطوف حليم حين يطلب حلمـــه ** وسم زعاف لا تصاب مقاتله

له من الأولاد: محمد – الحسين المولود في سنة 1304هـ- 1887م قاضي شرعي في جهات عديدة بالسودان وهو القاضي الوحيد الذي دافع عن دينه بلسانه وقلمه ولم يخشى في ذلك لومة لائم حتى أنه قاوم دسائس الانكليز وهمزاتهم السياسية بعبارات جريئة عدها الأغبياء تهوراً وما هي بتهور ولكنه ثبات على الحق وإقرار"[56].

يضيف محمد إبراهيم أبو سليم ذاكراً أن عبد الله أحمد يوسف في كتاب النخيل أنه أخذ العلم على الاستاذ الحسن حاج سعد وربما دل ذلك على أنه مارس التعليم بعد

خدمته في الحكومة أو أنه كان يدرس في منزله أثناء خدمته كما يفعل بعض العلماء. ويبدو توسعه في إنشاء ثماني خلاوي كان لا بد أن يستعين بالآخرين للتدريس ويدفع لهم من خالص ماله وهكذا سعي في نشر التعليم الديني بين طبقات المجتمع السوداني ويعتبر صدقة جارية في سبيل الله[57].

يتفق محمد إبراهيم أبو سليم مع ما جاء في المخطوطة حول ما كُتب عن ابنه حسين الذي عمل بالقضاء الشرعي واصطدم مع الانجليز[58].

من هذا السرد نجد الشيخ العالم الحسن حاج سعد العبادي ورثه ابنه في النضال والشجاعة اذ كان لا يخشى لومة لائم في قول الحق فهذا الشبل من ذاك الاسد فله الرحمه والغفران.

المبحث الثالث

الأمير إبراهيم الخليل

يتناول المؤرخ سيرته قائلا: "كان هذا رجلاً فاضلاً لين العريكة وديع الأخلاق واسع الاطلاع ولد في أبي سيقان بدار الرزيقات في شمال دارفور سنة 1283هـ-1873م ثم حفظ القرآن الشريف على الفقيه الأمين الماحي المغربي بأم درمان. وتعلم الكتابة والحساب على عمر أفندي الصادق الرباطابي وعبد القادر وعبد الحميد الذين كانوا كتاباً للأمير يعقوب محمد شقيق الخليفة عبد الله. لما أقصى عبد المولى صابون أمير الجهادية للرجاف اضطر خليفة المهدي بأن يخلفه من أهل بيته فعين إبراهيم الخليل أميراً للجهادية الكاره في سنة 1309هـ-1892م[59].

يتفق عصمت زلفو [60] ويوسف ميخائيل[61] مع ما جاء في المخطوطة ذاكراً أنه عرف بالتواضع وسماحة الخلق وثقف نفسه حتى كان أبلغ المتحدثين مما أدى إلى ضمه إلى مجلس شورى الخليفة على الرغم من حداثة سنه مضيفاً أن الخليفة قام بتربيته هو وإخوته محمود وإسماعيل وعبد الرحمن وشبو كإخوان لابنه الأمير عثمان الملقب بشيخ الدين.

يتفق عصمت زلفو مع المخطوطة في تعيين إبراهيم الخليل لقيادة الحملة المتجهة لقمع تمرد جبال النوبة بجبل ديزي وقد نجح في ذلك وأرسل الآلاف من الأسرى لأم درمان ولكن يختلف عصمت مع المخطوطة في تاريخ مولده فذكر مولده في سنة 1874م ولكن أرجح ما جاء في المخطوطة لأن كاتبها شاهد عيان ومعاصر له. ويضيف يوسف ميخائيل كان من قادة الجهادية المرموقين الذين اعتمد عليهم الخليفة في كثير من المهام العسكرية الصعبة واشترك في واقعة كرري عام 1898م وكان من اوائل الشهداء الذين آثر استشهادهم في تدني الروح المعنوية للمجاهدين الأنصار[62].

الامير إبراهيم الخليل واخوه الامير محمود ود احمد ابناء عم الخليفة عبد الله التعايشي رباهما مع ابنه الامير عثمان الملقب بشيخ الدين ولقد ظهر نبوغه وتفوقه العسكري عندما ارسله الخليفة عبد الله لاخماد ثورة جبل ديزي فاثبت جدارته وانتصر وعاد بكمية من الغنائم والاسرى مما دفع الخليفة للخروج لاستقباله عند عودته ظافراً.

ويواصل المؤرخ سرده قائلا: "وبالرغم من حداثة سنه كان عاقلاً وناسكاً ولا يخالط سوى الكهول من العلماء وأهل الفضل كالأستاذ محمد الجزولي قاضي الكارة والفقيه منوفلي الذي كان صالحاً ومحمود حسيب العبادي وغيرهم وفي سنة 1310هـ-1893م أمره خليفة المهدي بغزو جبال النوبة فسار إليها وأوغل في تلك الأرجاء وبالأخص جبل ديزي الذي أهدى كثيراً من شبانه لأخيه الأمير محمود ود أحمد وهذا جندهم في حرسه ووشم خديهم H هكذا أي حرف اتش باللاتينية. ثم عاد إلى أم درمان بالألوف من اسرى النوبة سكان الجبال وكان رحمه الله ناسكاً يحافظ على أداء الفرائض ومن أنبل خلاله الكرم قال العلامة الأستاذ محمد البدوي رئيس مشيخة أم درمان العلمية الأول " التزم أحد أقاربي توريد ذرة لابراهيم الخليل لحفظها حتى يصل أخوه الأمير محمود من كردفان ليأخذها مؤنة لخاصته حال قيامه للقاء الحملة الانكليزية المصرية في اتبره وأخذ ذلك الملتزم 700 ريال مقدم واختفى فبعث إبراهيم الخليل 100 جندي من جهاديته على بضعة مراكب شراعية لاستلام الذرة من الملتزم في جهات الكوة فلم يجدوه وبعد بحث شديد عادوا لام درمان ساخطين على الملتزم وظلوا يبثون الجواسيس والرقباء للبحث عنه ولما علم الرجل بتحرج الحالة وخاف على نفسه من الوقوع في قبضة أولئك الجهادية الذين ربما بطشوا به ولا يجرأ أحد عن المطالبة بدمه في مثل تلك الظروف الحرجة. قال فذهبت إلى الأمير إبراهيم الخليل وسألته السماح للرجل ريثما يفكر في رد ما أخذ فما كاد يسمع مني ذلك حتى قال إن حياتنا ومالنا ذاهبتان عاجلاً أو آجلاً فلا

تثريب عليه في شيء من ذلك بل أحضر الي الملتزم ولما جئت به اليه دعا رئيس الجهادية[63].

يتفق عصمت زلفو مع ما جاء في المخطوطة ذاكراً أنه أحرز نجاحاً مذهلاً رغم وعورة الجبال وقوة المتمردين الذي أسرهم وأرسلهم لأم درمان وعندما وصل استقبله الخليفة استقبالاً رسمياً إظهاراً لسروره وإعجابه به ويبدو أنه في حملته تلك ترسم خطى صهره العظيم حمدان أبي عنجة عندما أخضع عشرات الجبال واحدة بعد أخرى[64]. ومما ذكرته المخطوطة من توسط الشيخ محمد البدوي لقريبه الذي أخذ المبلغ ولم يستطع توفير الذرة أورد المبلغ وخاف من بطش الجهادية به فوسط الشيخ محمد البدوي فوجد الشيخ كل إكرام وتقدير من الأمير إبراهيم الخليل فعفى عن ذلك الملتزم ولم يكتفي بذلك بل أرسل إلى الجهادية يخبرهم بأنه رد المبلغ حتى لا يتعرض له أحد بسوء فهذا غاية النبل وكرم الأخلاق ففي إكرام الشيخ محمد البدوي أكرم ذلك الملتزم وعفى عنه.

ويستمر المؤرخ في سرده قائلا: "وقال له ها هو الملتزم رد إلينا ما أخذه من النقود لعدم وجود الذرة فأخبر الجهادية بعدم التعرض له وكان ذلك عفواً عما أخذ منه وله أمثال هذه المكرمة كثير وفي 2 سبتمبر سنة 1898م حاول إقناع جيوش المهدية بالهجوم ليلاً على العدو وكانت فكرته حازمة ولو حدثت ربما كانت النتيجة أفضل بكثير مما حصل في هجوم الصبح, ولكن عارضه في رأيه الأمير عثمان شيخ الدين الذي ما كانت له مؤهلات القيادة إلا كونه ابن الخليفة وولي عهده ولما حان وقت الهجوم فقد أظهر إبراهيم الخليل من الشجاعة والإقدام ما يدعو إلى الإعجاب إذ كان في مقدمة الهاجمين على العدو وقد صرع دونه فمات ميته مشرفة وأخذ جثمانه من بين نيران العدو الحامية إلى داره فدفن بها تغمده الله برحمته وله من الأولاد محمود, عباس, خالد, ولم تكن له من البنات سوى عائشة بأم درمان" [65].

هذه الحكاية مع ما جاء في المخطوطة يكشف جانباً مشرقاً من حياة هذا الأمير المقدام.

يتفق عصمت زلفو مع ما جاء في المخطوطة حول مروءته وعدم تحيزه لأقاربه وظهر ذلك عندما انتزع شيخ الدين جواد من أحد أتباع إبراهيم الخليل وسمع إبراهيم بذلك فانتزع الجواد الأصيل بسبب المشكلة وأعاده لصاحبه وبالطبع استشاط شيخ الدين غضباً وبدأ في تجهيز قوته لأخذ الجواد وتكهرب الموقف إلى أن سمع يعقوب فاستدعى الخليل ولامه وأمره بإعطاء الجواد لشيخ الدين وتعويض صاحبه بجواد آخر خوفاً من تطور الأمور وظل الود مفقوداً بينها للنهاية.

يتفق عصمت زلفو مع ما جاء في المخطوطة حول إصراره على الهجوم ليلاً مضيفاً قوله " المهدية مهديتكم لكن نصره مافي" كما يؤكد اقتراحه الذي قدمه للدفاع عن السبلوقة وعندما بدأ المتحدثون يسفهون رأيه لم ينتظر للنهاية لفرض رأيه إذ كان يضيق صدره بالبقاء والنقاش الغير موضوعي ولعل روح اليأس والغضب التي دخل بها المعركة كانت سبباً في الأداء المتدني في سير المعركة إذ كان لا يتناسب إطلاقاً مع سمعته وكفاءته في النطاق الاستراتيجي من ناحية ولا المستوى العالي من التدريب الذي اشتهر به جيش الكارة من ناحية أخرى. ويعزز هذا الرأي سير ونستون تشرشل مضيفاً أرسل الخليفة إبراهيم الخليل لمساندة عثمان دقنة عندما أخطرته دوريته بأن الجيوش تقدم نحو أم درمان وعندما استشهد وحمل إلى أم درمان ليدفن في منزله[67] وهذا يوضح مكانة ومعزة إبراهيم الخليل لدى الخليفة والامير يعقوب رغم انشغالهم بمحاربة العدو.

*وأخبث ما سجل التاريخ قتله الفقيه الوسيلة الهواري وسبيه نساءه وبناته بغير ذنب فأهدى الفتيات منهن لأمراء التعايشة كابنته الرسالة التي أعطيت أصاغة وغيرها لآخرين وسلمت بعض المسبيات لأهلن بعد أن دفعوا 2000 ريال مجيدي فداء. ولعله كان يتهم الفقيه الوسيلة بالإنكار على المهدية. "محمد عبد الرحيم".

اما انسحابه من مجلس شورى الخليفة عندما رفض رايه القائل بالهجوم ليلاً والبدء من السبلوقة انما يدل على تفكير ناضج وصحيح وجاءت الهزيمة نتيجة للهجوم صباحاً اما قوله المهدية مهديتكم فيدل على ياسه لان الخليفة انحاز إلى راي ابنه الامير شيخ الدين الذي لم يسبق له المشاركة في أي معركة ولم تكن له خبرة في ميدان القتال والذي اثبتت الايام فشله في معركة كرري.

أما ما اعتبره كاتب المخطوطة من أنه تصرف غير كريم لان الأمير إبراهيم الخليل امر بقتل الفقيه الوسيلة وسبيه نساءه وبناته لإنكاره المهدية. فهذا لا يحسب على الأمير فقط لان الإمام المهدي جعل الإيمان بمهديته شرط أساس وكأنها ركن من اركان الإسلام وقتله الأتراك والمصريين وتسميتهم بالكفرة لأنهم لم يؤمنوا بمهديته فما حدث في تحرير الخرطوم من قتل وسبي لم يكن لنصارى وإنما حدث لمسلمين لم يؤمنوا بالمهدية!! فليس كل من قتل في معارك المهدية شهيد. لأن قتل المسلم حرام , قال رسول الله –ﷺ– فيما معنها من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد حقن دمه إلا بحق: وحقه قتل مسلم خطأ بدفع الدية إذا قبل أهل القتيل ذلك[74].

الخاتمة تشمل الأمراء الثلاث وهم:

1/ الامير يعقوب محمد

هو شقيق الخليفة عبد التعايشي خليفة المهدي. كان امير الراية الزرقاء وكان حافظ للقرآن يجيد التجويد وقد عرف بجراب الرأي كناية عن الدهاء والذكاء وكان الخليفة لا يتخذ قرار الا بالرجوع اليه ولقد كسب محبة اهل ام درمان عكس شعورهم تجاه باقي عشيرته وترفع عن التعصب القبلي فكان يتدخل ليصلح ما يفسده. قومه المتعجرفين وكان سخياً كريماً حاتميا في العطاء وكانت له تكية تمتد من بيت الامانة إلى جامع المهدي وكان يخرج يومياً 500 قدح وكل قدح يكفي لعشرة اشخاص يعني يومياً باكل خمسة الف شخص وبهذا اشرك الفقراء والمساكين في الاكل من اموال الدولة وكان الطعام بجمع كل انواع اللحوم من لحوم البقر والابل والضان والماعز عدا السمك والطيور.

ولم يكتفي بذلك بل كان يستقبل المحتاجين واصحاب الحاجة فيقضي حوائجهم مثال ذلك الرجل المجزوم الذي حاول الملازمية ابعاده من امام بابه فتصدى لهم بالتوبيخ وادخله منزله واكرمه بالكساء والمال من منا يفعل ذلك؟؟؟

وعندما حانت لحظة الدفاع عن الوطن لم يقدم غيره بل قاد انصار الراية الزرقاء واقتحم المعركة فنال الشهادة فكان من أوائل الشهداء ولقد شهد لهم الاعداء بالشجاعة والاقدام فكانوا كالنسور الكاسره لم ترهبهم نيران القنابل والمدافع.

2/الاستاذ/ الحسن الحاج سعد

ولد الاستاذ الحسن الحاج سعد بالغبش حوالي 1843م وهو عبادي الاصل تلقى بعض تعليمه على يد الاستاذ/ محمد الخير حيث التقى بمحمد احمد المهدي. وعندما سمع بحركة المهدية اتصل بزميله وبايعة في الابيض وعينه الامام المهدي اميراً ورافقه لتحرير الخرطوم.

كما اشترك في مطاردة حملة انقاذ غردون حين اشترك في معارك الكرو والدبة وسيطر على مدينة حلايب وضواحيها. ولكنه اختلف مع عمال الخليفة الذين جاءوا لجمع الذكاة فاستدعاه الخليفة لملازمة الفروة وهي عقوبة تفرض على من يعترض على قرارات الخليفة فما كان منه الا ان هرب إلى رئاسة الحملة المصرية الانجليزية. وعندما وجهت له ادارة المخابرات في مروي اسئلة عن عدد جيش الخليفة فرد بانه لا يعلم فاعتبرته جاسوساً فسجن واطلق سراحه بعد غزو السودان 1898م. وعين قاضي شرعي. كما اسس عدد من الخلاوي في الشمال لنشر التعليم الاسلامي فهذا احد ابطال المهدية البرره.

3/ لامير إبراهيم الخليل

عرف الامير إبراهيم رغم صغر سنه بالتواضع وسماحة الخلق وكان متعلماً. وقد تربى هو واخاه الامير محمود ود احمد مع ابن الخليفة شيخ الدين فشملته رعاية الخليفة الذي كلفه عندا كبر باخماد ثوره جبال النوبة فعاد منتصراً ولقد ترسم خطى صهره الأمير حمدان ابي عنجة في الجهاد ولقد خرج الخليفة للقائه عند عودته اكراماً وتقديراً لشجاعته رغم صغر سنه. كما عينه الخليفة عضواً في مجلس الشورى. ولقد اقترح على المجلس ان يكون الهجوم ليلاً في معركة كرري كما اقترح ان يبدأ الهجوم من قرية السبلوقة.

وعندما لم يجد قبولاً ترك المجلس غاضباً قائلاً لهم: (ان المهدية مهديتكم لكن نصره مافي ولقد صدقت مقولته وشارك في كرري وكان من اوائل الشهداء مما احزن الخليفة فامر بحمل جثمانه رغم نيران المدافع ودفن في منزله بالعباسية شمال (ام درمان).

كما عرف بالسخاء والكرم والعفو وتمثل ذلك في العفو عن الملتزم الذي هرب بالمال الذي كلف به لشراء الذرة لحملة محمود ود احمد المتجه للشمال فعندما توسط الشيخ محمد البدوي لقريبه الهارب قال له: (ان حياتنا ومالنا ذاهبتان عاجلاً او اجلاً. فلا تثريب

عليه، فعفى عنه واخبر الملازمية بعدم مطاردته مخبرهم بانه سلم المال. فهذا قمة الكرم والاخلاق النبيلة، وهناك موقف اخر وهو عدم تحيزه لاهله فقد وقف إلى جانب احد اتباعه عندما سلبه لامير شيخ الدين جواده الاصيل فاسترد ذلك الجواد وسلمه لصاحبه مما جعل الامير شيخ الدين يستعد لمهاجمة الامير إبراهيم الخليل مما دفع الامير يعقوب نائب الخليفة للتدخل فانحاز للامير شيخ الدين وطلب من الامير إبراهيم الخليل تسليم ذلك الملازم جواداً اخر أو مبلغ من المال. هكذا نجد مواقف شهامة لامراء ابرار ضحوا بحياتهم ووقوفهم مع الحق اينما كان فلهم التجلة والرحمة والمغفرة.

النتائج:

1. كشفت الدراسة عن تاسيس مجلس شوري للخليفة باخذ برايه في كل ما يخص الدولة.
2. كشفت الدراسة عن قيم واخلاق ومثل وتعليم لكل من تقلد منصب في القضاء او القيادة العسكرية. وهذا يؤكد ان هناك تشويه كبير لانصار الدولة المهدية عندما وصموا بالدراويش والجهل.
3. ضرورة اعادة كتابة تاريخ المهدية من خلال وثائق المهدية المتوفرة بدار الوثائق باقلام محايدة لابراز تاريخ السودان بصورة تليق به وبعيداً عن التشويه والاساءة لرموزه الكرام.

التوصيات:

1. محاولة اقناع اسرة المؤرخ بفتح الباب امام اقلام سودانية لتحقيق وثائق المهدية التي تربو على سيرة الف بطل كتب عنهم الاستاذ محمد عبد الرحيم.
2. تنقيح ما كتب لاستبعاد بعض المصطلحات المستخدمة لتناسب الوقائع التاريخية الوطنية مثل سقوط الخرطوم في يد المهدي والاجدر وتحرير الخرطوم على يد الامام المهدي.
3. لابد من اطلاق كلمة الامام المهدي لانه اخذ البيعة من الجميع فكيف ينادي بالمهدي.

المصادر والمراجع:

1. د.و.ق.خ/156/9/31/مخطوطة المؤرخ محمد عبد الرحيم (ابطال السودان) ص18.
2. دار الوثائق المركزية –الشيخ محمد عبد الرحيم(مؤرخ السودان). تحية وذكرى كتيب صدر عن دار الوثائق المركزية بمناسبة الحفل الذي اقيم بالقصر الجمهوري في العاشر من مارس 1967م بحضور السيد/ اسماعيل الازهري – رئيس مجلس السيادة.
3. عون الشريف قاسم, موسوعة القبائل في السودان وأشهر الأعلام والأماكن. الطبعة الأولى. الجزء الخامس, الطابعون شركة أفروقراف للطباعة والتغليف, الخرطوم 1996م.، ص 2186.
4. محجوب باشري. رواد الفكر السوداني. الطبعة الثانية, دار الجيل, بيروت 1981م، ص 53.
5. مكي شبيكة, مرجع سابق الشيخ محمد عبد الرحيم، مؤرخ السودان تحية وذكرى.
6. سيرجي سيرنوف, دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفيتي, ترجمة هنري رياض, دار الجيل, بيروت, الطبعة الأولى 1404هـ-1994م.، ص8.
7. محمد إبراهيم أبو سليم, الحركة الفكرية في المهدية, الطبعة الثانية, دار الجيل, بيروت 1981م، 20.
8. سيد أحمد العراقي. إسهامات العلماء, مجلة التنوير المعرفي, العدد 12 يناير 2012م ص223.
9. د.و.ق.خ، 216/46/15 محمد عبد الرحيم (أبطال السودان)، ص157
10. مكي شبيكة، السودان عبر القرون، الطبعة الثالثة دار الجيل، 1991م، ص20.
11. د.و.ق.خ،/216/46/15، محمد عبد الرحيم (أبطال السودان)، ص157
12. مكي شبيكة، السودان عبر القرون، لسودان عبر القرون، الطبعة الثالثة دار الجيل، 1991م، ص389
13. مذكرات يوسف ميخائيل, تحقيق أحمد إبراهيم أبو شوك,...، ص124
14. عصمت حسن زلفو، كرري، سنة 1973م، ص257
15. د.و.ق.خ 216/46/15، محمد عبد الرحيم (أبطال السودان)، ص157-158.

16. عصمت حسن زلقو،...، ص257
17. د.و.ق.خ 216/46/15، محمد عبد الرحيم (أبطال السودان)، ص157-158.
18. عصمت حسن زلقو، كرري،...، ص514
19. نعوم شقير،...، ص1282-1283
20. ونستون تشرشل، تاريخ المهدية،...، ص259
21. ب. م. هولت، دولة المهدية،...، ص212
22. د.و.ق.خ 216/46/15، محمد عبد الرحيم (أبطال السودان)، ص159
23. مكي شبيكة، السودان عبر القرون،...، ص449
24. سير ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية،...، ص293.
25. د.و.ق.خ 216/46/15، محمد عبد الرحيم (أبطال السودان)، ص159-160
26. سير ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية،...، ص280
27. د.و.ق.خ/216/16/16/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص161.
28. سير ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية،...، ص282-283
29. د.و.ق.خ/216/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص161.
30. ب.م. هولت, دولة المهدية في السودان, مرجع سابق, ص255.
31. د.و.ق.خ/216/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص161-162.
32. نعوم شقير, جغرافية وتاريخ السودان,..., ص1282-1283.
33. د.و.ق.خ/216/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص162.
34. سير ونستون تشرشل, تاريخ الثورة المهدية,..., ص289.
35. عصمت حسن زلفو, كرري,..., ص546.
36. د.و.ق.خ/216/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص162.
37. سير ونستون تشرشل, تاريخ الثورة المهدية,..., ص288.
38. عصمت حسن زلفو, كرري,..., ص547.
39. د.و.ق.خ/216/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص162.
40. مذكرات يوسف ميخائيل, تحقيق أحمد إبراهيم أبو شوك,..., ص222-231.
41. سير ونستون تشرشل, تاريخ الثورة المهدية,..., ص294.
42. د.و.ق.خ/219/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1189.
43. د.و.ق.خ/219/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1189.

44. محمد إبراهيم أبو سليم, العالم المجاهد الحسن سعد العبادي, كتاب في المهدية وإمارة في عتباي, اصدارات مركز أبو سليم للدراسات, طبعة أولى يونيو 2002م, ص11.
45. دوق/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1189.
46. محمد إبراهيم أبو سليم, العالم المجاهد الحسن سعد العبادي, مرجع سابق, ص12.
47. نعوم شقير, جغرافية وتاريخ السودان, مرجع سابق, ص864.
48. دوق/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1189.
49. نعوم شقير, جغرافية وتاريخ السودان,...., ص882.
50. د.و.ق.خ/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1192.
51. محمد صالح ضرار, تاريخ سواكن والبحر الأحمر, الطبعة الثانية, الدار السودانية للكتب 1988م, ص198.
52. محمد إبراهيم أبو سليم, العالم المجاهد الحسن العبادي, مرجع سابق, ص14.
53. د.و.ق.خ/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1192.
54. محمد إبراهيم أبو سليم, العالم المجاهد الحسن سعد العبادي,...., ص 19-20.
55. محمد إبراهيم أبو سليم, العالم المجاهد الحسن سعد العبادي,...., ص21.
56. د.و.ق.خ/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص1192.
57. محمد إبراهيم أبو سليم, العالم المجاهد الحسن سعد العبادي,...., ص21.
58. نفس المرجع, ص22.
59. د.و.ق.خ/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص119.
60. عصمت حسن زلفو, كرري,...., ص263.
61. أحمد إبراهيم أبو شوك, مذكرات يوسف ميخائيل,...., ص230.
62. عصمت حسن زلفو, كرري,...., ص263.
63. د.و.ق.خ/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص119.
64. أحمد إبراهيم أبو شوك, مذكرات يوسف ميخائيل,...., ص230.
65. د.و.ق.خ/293/46/15/ محمد عبد الرحيم (أبطال السودان), ص120.
66. عصمت حسن زلفو, كرري,...., ص265.
67. عصمت حسن زلفو, كرري,...., ص265.